

الحلقة الثالثة

سلسلة: من يقول الناس إنني أنا؟

أنوار كاشفة

" أنا هو القيامة والحياة "

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد بدأنا قبل لقائين بالحديث عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟ وكنا قد تأملنا في سؤال المسيح لتلاميذه: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ وإجابة التلاميذ عنه. وعلمنا أن بعض الناس اعتقدوا أنه يوحنا المعمدان النبي يحيى، وآخرون النبي إيليا، أو النبي إرميا، أو واحد من الأنبياء.

ثم تأملنا بالشق الثاني من سؤال المسيح لتلاميذه وهو: وأنتم من تقولون إنني أنا؟ وإجابة الرسول بطرس أنه هو المسيح ابن الله الحي. ثم تطوَّب المسيح له، وتأكَّده: إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وهذا يبين لنا أننا بحاجة إلى إعلان إلهي لكي نعرف حقيقة شخصية المسيح. وتوضح لنا أن تعبير ابن الله الذي خُصَّ به المسيح، قد صدر عن الله نفسه في عدة مناسبات، إذ أعلن الله أن هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

وتبين لنا أن تعبير ابن الله، لا شأن له بالولادة الطبيعية، بل المقصود به المعنى الروحي. فالمسيح دُعي بابن الله لأنه هو الذي يُعلن الله ويظهر مجده، وهو الحامل لصفات الله، وكونه كلمة الله الأزلي المتجسد. ولقد أكدت أعمال المسيح العجائبية الباهرة، وتعاليمه الإلهية أنه ابن الله. لا بل إن المسيح قال عن نفسه أنه الطريق والحق والحياة، وأنه القيامة والحياة، وأنه نور العالم، وخبز الحياة. وهذه من صفات الله وخصائصه.

ننتقل اليوم أعزائي للحديث عن هذه التصريحات الهامة، التي أعلنها المخلص المسيح عن نفسه، والتي تؤكد أنه فعلاً ابن الله. ونبدأ بتصريحه الهام القائل: " أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. " (بشارة يوحنا ١١: ٢٥)

قبل أن نتأمل بمعاني تصريح المسيح الهام هذا، لا بد لنا أن نتحدث عن الظروف التي أدت بالمسيح إلى إعلان تصريحه هذا. وكما سيتضح لنا فإن المسيح أكد تصريحه بالعمل، عندما أقام لعازر من الموت. فلقد مرض لعازر من بيت عينا القريبة من أورشليم، فأرسلت أختاه مريم ومرثا إلى المسيح قائلتين: "يا سيد هوذا الذي تحبه مريض". فلما سمع المسيح قال: "هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به." (بشارة يوحنا ١١: ٤٣)

لقد أدرك المسيح وهو العالم بكل شيء، أن نتيجة مرض لعازر سيؤدي إلى تمجيده كابن الله، وإعلان حقيقة شخصيته. لكن الغريب في الأمر أن المسيح لم يذهب فوراً لبيت عنيا، بل مكث يومين عبر الأردن حيث كان. ثم بعدها قال لتلاميذه لنذهب إلى اليهودية، "لعازر حبيبنا قد نام. لكنني أذهب لأوقظه." وعندما احتج عليه التلاميذ قائلين إن كان قد نام فهو يشفى، قال لهم المسيح حينئذ علانية "لعازر مات وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتؤمنوا." (بشارة يوحنا ١١: ١١، ١٤ و١٥) مرة أخرى نجد أن المسيح يلمح لتلاميذه أنه سيقوم بعمل عظيم، لكي يعرفوا حقيقة شخصيته، ويؤمنوا به.

وعندما وصل المسيح إلى بيت عنيا وجد أن لعازر قد صار له أربعة أيام في القبر. وكان الكثيرون من اليهود قد جاءوا لتعزية مرثا ومريم بأخيها. فلما سمعت مرثا أن يسوع المسيح أت لاقته وقالت له: "يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي. لكنني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه." أجابها المسيح: سيقوم أخوك. قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟ قالت له مرثا: "نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم." (بشارة يوحنا ١١: ٢١-٢٧) لقد صرح المسيح تصريحاً خطيراً لمرثا، أنه سيقوم أخوها لعازر من الموت، فهو القيامة والحياة. وعلى هذا الأساس أعلنت مرثا إيمانها بالمسيح كابن الله. لأنها اكتشفت حقيقة شخصية المسيح، فهو ابن الله الذي يعلن الله، والذي يحمل صفاته. ولهذا فهو قادر كالله الأب على بعث الحياة في أجساد الموتى في القبور.

ثم ذهبت مرثا وأخبرت أختها مريم سرا بقدوم المسيح. فانطلقت مريم مسرعة إليه، وتبعها جموع اليهود الذين كانوا في البيت. وعندما رأته خرّت عند رجليه وقالت له: "يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي." فلما رآها يسوع المسيح تبكي هي والذين معها انزعج بالروح واضطرب وسأل: أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. وعندها بكى يسوع. فقال بعض اليهود ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل لعازر لا يموت.

وعندما وصل يسوع المسيح إلى القبر، وكان مغارة وقد وضع عليه حجر، قال: ارفعوا الحجر. فاعترضت مرثا أخت الميت قائلة: يا سيد قد انتن لأن له أربعة أيام. فقال لها المسيح: ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله. "فرفعوا الحجر. ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال المسيح هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلمّ خارجاً. فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب." (بشارة يوحنا ١١: ٤١-٤٤) وعندها آمن كثيرون من اليهود.

كما ذكرنا قبل قليل فقد أرفق المخلص المسيح القول بالعمل. وأقام لعازر بعد أن كان له أربعة أيام في القبر. وهذا يؤكد حقيقة تصريحه الهام: " أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. " ولنلاحظ أن المسيح لم يطلب من الله الآب في صلاته إقامة لعازر الميت، بل هو الذي أمر لعازر بسلطانه الإلهي أن يخرج من القبر. وهذا تأكيد واضح أنه ابن الله المتجسد، الحامل لصفات الله الآب، والذي يعلنه.

كلنا نعلم أن عمل القيامة وبعث الحياة، هي من خصائص الله الآب وأعماله. ولعل السؤال الآن الذي يجدر بنا أن نطرحه هو: هل بإمكان أحد في الكون أن يقوم بعمل الله الآب لو لم يكن معبرا عنه والحامل لصفاته؟ نعم إن المسيح إذن كابن لله وكلمته المتجسد هو المعبر عن الله والحامل لصفاته. ولهذا لم يكن غريبا أن يقول عن نفسه أنا هو القيامة والحياة. أي له السلطان تماما كالله الآب أن يقيم الموتى ويبعث الحياة فيهم من جديد.

صديقي المستمع، هل استطاع أحد غير المسيح أن يتجراً ويقول عن نفسه: أنا هو القيامة والحياة؟ بالطبع كلا. وهل استطاع أحد غير المسيح بسلطانه الإلهي أن يقيم الموتى ويحييهم من جديد؟ بالطبع أيضا كلا. إن يسوع المسيح وحده كابن لله إذن هو القيامة والحياة، فهو الذي سيقوم أجساد الموتى ويبعثهم من جديد إلى الحياة، في يوم القيامة الأخير. وهذا ما يؤكد صلته الكاملة بالله الآب. مع التأكيد هنا أننا نؤمن بالله الواحد.

ولهذا إن المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم، سيحيي كل أجساد الموتى، وسيقومهم من جديد، لكي يقفوا أمامه في يوم الدينونة الرهيب، ويدانوا بحسب أعمالهم. فهو له السلطان كالله الآب أن يدين أيضا. وسيدين كل من لم يؤمن به، أي يؤمن بالمسيح كمخلص شخصي لحياته، ويرسله إلى العذاب الأبدي. أجل إن يسوع المسيح هو القيامة والحياة. وكل من يؤمن به سيحظى بالغفران الكامل وينال الحياة الأبدية.

وماذا عنك صديقي المستمع؟ لم لا تأتي اليوم تائبا عن ذنوبك ومؤمنا بهذا المخلص الفريد العجيب، الذي مات على الصليب ليكفر عن ذنوبك، وقام منتصرا لكي يهبك الحياة، لأنه هو القيامة والحياة.